مجلة عصور الجديدة– مصنفة ج- المجلد 9– العدد 3- (نوفمبر) 1441هـ/2019م
ردمد EISSN 2600–6324 / ISSN 2170-1636 / الإيداع القانوني: Depot Légal 1156 -2014

الصراع الفكري في إسبانيا خلال القرنيين العاشر والحادي عشر الهجريين (16-17م): مواصفاته ودوافعه

The Intellectual Conflict in Spain during the 10th and 11th Centuries of the Hegira, (16th -17th AD): Specifications and Motives

دة. دوبالي خديجة Doubali khadidja صص173- 198
أستاذة محاضرة أ في التاريخ الحديث والمعاصر– قسم التاريخ
–كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية– جامعة ابن خلدون– تيارت (الجزائر)
doubali_histoire@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2019/10/09 تاريخ المراجعة:2019/10/09 تاريخ القبول: 2019/10/10

ملخص: يدور موضوع هذه الدراسة حول ظاهرة الصراع الفكري بين مسلمي إسبانيا والنصارى الكاثوليك في إسبانيا خلال القرنيين العاشر والحادي عشر الهجريين (ق16-17م) باعتبارها ظاهرة ذات أبعاد متناهية التعقيد بالغة التشابك، يمثل وجودها أحد معالم الواقع الإنساني الثابتة، إذ تعود الخبرة البشرية بالصراع إلى نشأة الإنسان الأولى، حيث عرفتها علاقاته في مستوياتها المختلفة: فردية كانت أم جماعية، وأيضا في أبعادها المتنوعة: نفسية أو ثقافية، سياسية أو اقتصادية، أو اجتماعية، أو تاريخية.

تهدف الدراسة إلى تقديم إطار مقارن لفهم وتحليل الصراع الدائر في إسبانيا خلال الحقبة التاريخية المذكورة أعلاه، طبيعته، أسبابه، وأنواعه. وبهذا الصدد، فإن هذه الدراسة تتبنى وجهة نظر ترى أن الطبيعة المعقدة والمتداخلة للصراع تجد جذورها في مصادر متعددة؛ منها ما يعود إلى تعدد أبعاد الظاهرة الصراعية ذاتها، ومنها ما يتعلق بتداخل مسبباتها ومصادرها من جانب، بالإضافة إلى تشابك تفاعلاتها وتأثيراتها المباشرة وغير المباشرة من جانب آخر، هذا فضلا عن التفاوت في مستويات الظاهرة من حيث المدى أو الكثافة والعنف.

فدراسة أي صراع وتتبع مساراته لا سيما الفكرية ينتج لنا معرفة جديدة للتعامل مع الواقع. وحينما نعرف جذور الأفكار نعرف كيف نواجهها أو كيف نصحح مسيرتنا معها. لذا فإن دراسة الصراع الفكري وما ينتج عنه أمر لا بد منه حينما نريد

أن نسير في الطريق الصحيح لأن الذي يعين على فهم الحقائق هو فهم الجذور الأولى له والدوافع الحقيقية وفهم الظروف التاريخية التي نشأ فيها. على هذا الأساس ومن هذا المنطلق نطرح الاشكالية التالية: ما هي مواصفات الصراع الفكري في اسبانيا خلال القرنيين العاشر والحادي عشر الهجريين (16-17م)؟ وفيما تتجلى الدوافع المحركة له؟

الكلمات المفتاحيّة: الصّراع؛ الفكر؛ الدّين؛ اللّغة؛ إسبانيا؛ مسلمو إسبانيا؛ النّصارى الكاثوليك؛السّلطات الإسبانيّة؛ اللّغة الإلخميادیّة؛ المقاومة.

Summary: This study is on the phenomenon of intellectual conflict between the Muslims of Spain and the Catholic Christians in Spain during the tenth and eleventh centuries AH corresponding to the sixth and seventeenth centuries AD as a phenomenon of very complex dimensions of complexity. Its existence is one of the features of the fixed human reality, as the human experience of the conflict goes back to the origin of man, defined by his relations at different levels: individual or collective, and also in its various dimensions: psychological or cultural, political, economic, social, or historical.

The study aims to provide a comparative framework for understanding and analyzing the conflict in Spain during the above-mentioned historical era, its nature, causes, and types. In this regard, this study takes the view that the complex and intersecting nature of the conflict is rooted in multiple sources, including the multiple dimensions of the conflict phenomenon itself, including the overlapping of its causes and sources on the one hand, and the intertwined interactions and direct and indirect effects of the conflict on the other hand; as well as the disparity in the levels of the phenomenon in terms of extent or intensity and violence

Studying any conflict and following its trajectories, especially the intellectual ones, produces new knowledge to deal with reality. When we know the roots of ideas, we know how to face them or how to correct our journey with them. Therefore, the study of intellectual conflict and its results is a must when we want to go in the right way because what helps to understand the facts is to understand their first roots, the real motives and understanding of the historical circumstances in which they originated. On this basis, we present the following problem: What are the characteristics of intellectual conflict in Spain during the tenth and eleventh centuries AH corresponding to the sixth and seventeenth centuries AD? What are its driving forces?

Keywords: Conflict; Thought; Religion; Language; Spain's Muslims; Spain's Catholic Christians; Spanish Authorities; Aljamiadia Language; Resistance**.**

مقدمة: مثلت التيارات الفكرية سواء النصرانية أو اليهودية في بلاد الأندلس تحديا للفكر الإسلامي الأصيل في عصور الإسلام الزاهرة، فكان ذلك حافزا للمسلمين للوقوف أمامها بقوة وصلابة. وقد كانت المواجهة على مستوى التحدي بل تفوقه؛ إذ هضم الفكر الإسلامي تلك التيارات هضما دقيقا واستوعبها استيعابا تاما ثم كانت له معها وقفته الصلبة وبالأسلحة الفكرية نفسها. فالمواجهة إذن كانت مواجهة فكرية، لكن في إطارها السلمي؛ هذا في مرحلة القوة وسيطرة النموذج الإسلامي على مقاليد الحكم، ولكن وعندما بدأ هذا الأخير يضعف وينهار شيئا فشيئا تحول ذلك التحدي السلمي إلى صراع، كان في أصله حرب أفكار، فالمعركة إذن كانت معركة فكرية، ولهذه المعركة أدواتها التي يجب التسلح بها، فالخاسر فيها أشد وطأة وأقوى تأثيرا وأعظم فتكا من خسارة أية معركة حربية أيا كان حجمها.

إن المطلع على هذه الدراسة كثيرا ما سيصادفه عبارة "الصراع الفكري" الذي كان أساسه عقدي، لهذا لنا وقفة مع هذه الورقة البحثية لنستعرض مفهوم الصراع الفكري، مواصفاته ودوافعه. على أن موضوع مثل هذا يحتاج إلى حيز أكبر، وبحث أعمق في مجموعة المصادر والمراجع المختصة لما له من أهمية وصلة بتاريخ الصراع الإسلامي النصراني في إسبانيا على وجه الخصوص، وفي العالم الإسلامي عموما.

1- ماهية الصراع وأنواعه: إن الصراع كمفهوم له طبيعته المركبة التي تستمد خصائصها من الموقف ذاته، ومن طبيعة وعلاقات القوى التي تحكم أطرافه وموضوعه. أما الصراع كظاهرة فإنه يتسم بالتعقد البالغ، فظاهرة الصراع وإن كانت تجمع- على الأقل بشكل كامن ومحتمل- بين مزيج من الأبعاد الإيجابية والسلبية معا، فإن التكييف النهائي للظاهرة الصراعية إنما يتوقف إلى حد كبير على مجموعة المتغيرات.

تتشكل هذه المتغيرات أولا طبقا لمتغير الإدراك الخاص بأطراف الصراع، ثم ثانيا بمتغيرات التوقيت، الموضوع ، والبدائل المتاحة، وغيرها من متغيرات بيئية تسهم بشكل متداخل في تحديد مدى وكثافة الظاهرة الصراعية. وأخيرا، فإن الصراع كعملية إنما يجد جذوره في روافد متعددة، كما أن أشكاله، ومظاهر التعبير عنه إنما

تتداخل وتتقاطع فيما بينها بشكل يعكس قدرا لا بأس به من الاعتماد المتبادل بين منابع العملية الصراعية ومظاهرها. وقبل أن نتطرق إلى مواصفات الصراع الفكري بين المسلمين والاسبان ومسبباته، لا بد لنا من تعريف مصطلح الصراع أولا.

1-1- التعريف الاصطلاحي لظاهرة الصراع: تعكس أدبيات الصراع ثراء واضحا فيما تقدمه من تعريفات لمفهوم هذا المصطلح، كما تتعدد أيضا مجالات الاهتمام، ونقاط التركيز التي يوليها المتخصصون أهمية كبيرة عند تناولهم للمفهوم بالدراسة والتحليل، فقد قدمت تعريفات كثيرة من طرف الباحثين في العلوم السياسية وعلم الاجتماع، على أن كل مجال فسره وفق المنظومة الخاصة به.

الصراع في مفهومه يعبر عن موقف له سماته أو شروطه المحددة: فهو بداية يفترض تناقض المصالح أو القيم بين طرفين أو أكثر، وهو ثانيا يشترك إدراك أطراف الموقف ووعيها بهذا التناقض، ثم هو ثالثا يتطلب توافر أو تحقق الرغبة من جانب طرف (أو الأطراف) في تبنى موقف لا يتفق بالضرورة مع رغبات الطرف الآخر، أو (الأطراف الأخرى)، بل إن هذا الموقف قد يتصادم مع باقي هذه المواقف[1].

وبوجه عام، فإن مفهوم الصراع في الأدبيات السياسية المتخصصة ينظر إليه باعتباره ظاهرة ديناميكية. فالمفهوم، من جانب، يقترح موقفا تنافسيا معينا، يكون كل من المتفاعلين فيه عالما بعدم التوافق في المواقف المستقبلية المحتملة، كما يكون كل منهم مضطرا أيضا لاتخاذ موقف غير متوافق مع المصالح المدركة للطرف الآخر[2].

وقد يتداخل مصطلح الصراع بمصطلحات أخرى كـ "النزاع" و"الأزمة"، فأما الأول- النزاع- فيعرف في دوائر المصادر اللغوية بأنه " إعطاء أسباب أو حقائق لتأييد أو معارضة شيء ما"، أو أنه "المناقشة"، أو "المجادلة، أو السجال حول شيء ما أو بخصوصه"[3].

كذلك يدور النزاع حول، أو على، أو مع شيء ما، خاصة عندما يكون النزاع غاضبا، وممتدا لفترات طويلة. كما يعرف النزاع أيضا بأنه "جدال أو شجار- يكون بصفة خاصة ذا طبيعة رسمية- بين جماعة وجماعة أخرى. أما في الأدبيات المتخصصة، فإن النزاع يتم تعريفه بأنه "تعارض في الحقوق القانونية قد تتم تسويته بالتوصل إلى حلول قانونية وسياسية"، كما أنه يفترض أيضا وجود طرفين أو أكثر

يعترفان بوجود الاختلافات والمشكلات بينهما من جانب، وأن يبدى أحد هذه الأطراف على الأقل استعداده ورغبته في حل المشكلة[4].

على ضوء ذلك، فإن النزاع يشير إذا إلى موقف يواجه أطرافه أحد موقفين أحدهما قابل للتفاوض، بينما الآخر لا يحتمل التوفيق، ومن هنا كانت أهمية وحيوية البحث عن إطار لتحليل وحل المشكلة موضع النزاع[5]. من ثم، فإن مقارنة مفهوم النزاع بمفهوم الصراع توضح أن مفهوم الأول يشير إلى درجة أقل حدة وأقل شمولا في الاختلافات عن الثاني، وأنه قد يمكن احتواؤه والسيطرة عليه من وجود تعارض في القيم أو المصالح بحيث تشعر معه أطراف الصراع أن أهدافها غير متوافقة من جانب.

أما فيما يخص مصطلح "الأزمة" فيعرفه "ستيفن فنك"(Steven Fink) بأنه حالة من عدم الاستقرار للمؤسسة يوشك أن يحصل على أثرها تغيير حاسم وهام ينتهي بنتائج غير مرغوبة بشكل كبير أو بنتائج مرغوبة تنعكس ايجابيا على حالة المؤسسة وثقافتها وأدائها[6].

نستخلص مما سبق ذكره أن الصراع كمفهوم له طبيعته المركبة التي تستمد خصائصها من الموقف الصراعى ذاته، ومن طبيعة وعلاقات القوى التي تحكم أطرافه وموضوعه، أما الصراع كظاهرة فإنه يتسم بالتعقد البالغ؛ فظاهرة الصراع تجمع- على الأقل بشكل كامن ومحتمل- بين مزيج من الأبعاد الإيجابية والسلبية معا.

بعد التعرف على بعض المصطلحات التي نجدها عادة تتكرر مع أو ترافق مصطلح الصراع، فيمكننا القول بأن الصراع أعم وأشمل، ويمكنه أن يشمل كل هذه المصطلحات في آن واحد إذا ما حاولنا دراسة طبيعة الصراع بالتعرف على أسبابه وكيفية نشوئه وعلى أنواعه ومستوياته ونتائجه وهي كفايات أساسية لا بد للسلطة والطرف الآخر أن يتسلحا بها في إدارتهما للصراع.

من خلال التعريفات التي تم طرحها لمصطلح الصراع وما رافقه من مصطلحات أخرى اتصلت به اتصالا وثيقا كالنزاع والأزمة فإن الباحث وهو يعالج ويحلل ظاهرة الصراع في إسبانيا خلال القرنيين 16-17م، يجدها- ظاهرة الصراع- قد ارتبطت بها-

كل هذه المصطلحات- لتنتج في الأخير استحالة التعايش بين الإسبان الكاثوليك والمسلمين في رقعة جغرافية واحدة كانت في سابق عهدها مستقر لكل الملل والنحل.

2-1- أنواع الصراع: يتوقف التكييف النهائي للظاهرة الصراعية إلى حد كبير على مجموعة من المتغيرات التي تتشكل أولا طبقا لمتغير الإدراك الخاص بأطراف الصراع، ثم ثانيا بمتغيرات التوقيت، الموضوع، والبدائل المتاحة، وغيرها من متغيرات بيئية التي تسهم بشكل متداخل في تحديد مدى وكثافة الظاهرة الصراعية، وأخيرا فإن الصراع كعملية إنما يجد جذوره في روافد متعددة، كما أن أشكاله، ومظاهر التعبير عنه إنما تتداخل وتتقاطع فيما بينها بشكل يعكس قدرا لا بأس به من الاعتماد المتبادل بين منابع العملية الصراعية ومظاهرها.

بهذا تتصف المداخل أو النظريات المفسرة لظاهرة الصراع بوجه عام بالتنوع والثراء. فمنها ما يهتم بتفسير الصراع كظاهرة عامة، وهنا يمكن القول ابتداء، أنه أيا كانت دائرة الاهتمام النظري في تفسير ظاهرة الصراع، فإن الصراع كظاهرة بالغ التعقيد لتداخل المتغيرات المرتبطة به وتشابكها من جانب؛ فقد تعددت أنواعه ودوائره، ومن ثم مستويات تحليله ودراسته من جانب آخر؛ ومن هنا كانت ضرورة أن ينهض التفسير الموضوعي لظاهرة الصراع على الاستفادة المتكاملة من الإمكانات التي توفرها تلك المناهج والنظريات مجتمعة، مع الأخذ بعين الاعتبار السمات الخاصة لكل حالة صراعية. فأسباب الصراع كثيرة ومتشعبة منها تداخل المهام، وغموض التشريعات، وتباين المصالح، ومعوقات الاتصال، وغياب المعايير والتمييز.

قسم المتخصصون الأسباب المحركة لعملية الصراع إلى صراع المصالح، وصراع العلاقات، فصراع القيم. شكلت كل هذه الأنواع بطريقة أو أخرى أسباب الصراع بين مسلمي اسبانيا والنصارى الكاثوليك، إلا أن صراع القيم قد تقدم كل هذه الأسباب من حيث أنه شكل محور الصراع في حد ذاته، حتى وإن كان يراد من ورائه تحقيق مصالح مادية أو سياسية.

بينما يصنف ستيرز (Steers) الصراع حسب محتواه إلى أربع أنواع رئيسة هي: صراع الأهداف، والصراع الفكري، والصراع العاطفي، والصراع السلوكي[7]، وإذا حاولنا التأسيس لمقاربة علمية وتاريخية بين التصنيفين فيمكننا وضع تقارب بين

صراع القيم مع الصراع الفكري، هذا الأخير هو المعتمد في بحثنا لما له من صلة مباشرة بلب الموضوع قيد الدراسة.

فصراع القيم أو الصراع الفكري تسببه المعتقدات القيمية أو النظم العقدية المتصورة أو الفعلية، وذلك لعدم توافقها أو لعدم التوافق بينها، ولما كانت القيم عبارة عن معتقدات يستخدمها الأفراد لإعطاء معنى لحياتهم ، تشرح ما هو جيد أو سيئ، صواب أو خطأ، عادل أو ظالم؛ فإنه تنبغي الإشارة إلى أن القيم المختلفة في حد ذاتها لا تشكل صراعا، فالأفراد يمكنهم العيش معا في انسجام مع وجود نظم قيمية مختلفة. بينما الصراعات القيمية تثأر عندما يحاول أحد أطراف النزاع فرض مجموعة محددة من القيم على غيره من الأطراف، أو عندما يدعو إلى إتباع نظام قيمي محدد لا يسمح بالاختلافات العقدية.

انطلاقا من هذا الطرح فإن الأندلس عايشت اللحظتين التاريخيتين: أما اللحظة التاريخية الأولى فتعايش فيها كل المجتمع الأندلسي بكل فئاته وأطيافه ومذاهبه في سلام وتناغم[8]، ذلك أن الأغلبية الحاكمة لم تحاول تحت أي مسمى من المسميات فرض توجهاتها العقدية أو الفكرية على الأقليات الأخري.

فيما عايش المجتمع نفسه اللحظة التاريخية الثانية في صراع مستمر بكل ما حمله هذا المصطلح من توجهات وتجليات، ذلك أن المعادلة السياسية والدينية انعكست؛ فالأغلبية الحاكمة في اللحظة التاريخية الأولى أضحت هي الأقلية المضطهدة، فيما أضحت الأقلية المنسجمة ضمن المجتمع المسلم هي الأغلبية المستبدة[9].

من هنا فإن لصراعات القيم في اسبانيا أهمية تجعلها من أهم أنواع الصراعات، كما أنها استحوذت على قدر كبير من اهتمامات الدارسين في مجالات علم النفس والعمليات الذهنية وذلك بهدف الربط بين حجم الصراع والسلوك المرتبط بحل الصراع، وبهذا الصدد فإن فك أو حل الارتباط بين القيم والمصالح، والعمل المشترك على اكتشاف الاختلافات القيمية، والإيديولوجية، والتركيز على إيجاد، واستخدام الصيغ التوفيقية والحلول الوسط تعد من أهم سبل حل الصراعات القيمية.

فالصراع الذي قام في الأندلس قبل مرحلة السقوط النهائي وبعدها كان أساسه صراع فكري ديني، حتى وإن تفاعلت معه عدة أسباب كانت مكملة له، أو مساعدة على تجسيده ميدانيا. فما هي أنواع الصراع الفكري الذي خاضه مسلمو اسبانيا ضد سياسة القمع والتنصير الإجباري، وليس ضد النصارى الإسبان في شخصهم، فالتاريخ يشهد بأنهم تعايشوا معهم لمدة ثمانية قرون دون أن يفكروا في التأسيس لصراع فكري عقدي.

2- مواصفات ظاهرة الصراع في إسبانيا الكاثوليكية: تختلف مواصفات الصراع الفكري اختلافا كبيرا عن مواصفات الصراع الشخصي، فالصراع الفكري محوره رؤية فكرية أو توجه فكري، يقبله أفراد ويرفضه آخرون، أما الصراع الشخصي فوقوده قبول أو رفض فرد آخر (أو مجتمع آخر)، وجوده في الساحة وانتمائه للمجتمع، أو رفض ذلك؛ فالصراع الفكري قد يؤدي إلى نمو وتطور في الفكر، عندما يقصد الداخلون فيه البحث عن الرأي الصائب، ويتجردون من نوازع أهوائهم؛ أما الصراع الشخصي فينتج عنه تغيرات في خارطة الواقع البشري وانتماء الأفراد للفئات المختلفة، واتجاهات التغير تحكم عادة بقوة الأطراف المتصارعة، بمختلف أنواع القوة المادية والمعنوية؛ فالصراع الشخصي في الغالب مرتبط بمشاعر البغض والحسد، وممارسات العنف والعدوان.

ومع ذلك يختلط النوعان من الصراع في كثير من المواقف، فيكون الصراع شخصيا، لكنه يلبس لبوس الصراع الفكري، وهذا موقف حرج نحتاج فيه للموضوعية العالية التي لا نجد من يتمثلها بين الناس إلا القليل. وهذا النهج من الصراع حول الاجتهادات السياسية من أكثر ما يوقع الفتن، ويغيب القدرة على التفكير السليم، لأنه صراع حاد حول أفكار لم تعلن، ويقدم للمجتمع على أنه صراع وجود، لا وقت فيه للانتظار، ومن لم يدخل فيه فهو خائن لأمته، بينما قد يكون في الواقع انعكاسا لمشاعر كراهية شخصية بين بعض الأفراد، يحملونها للمجتمع كله، ولا يهمهم أن يرهقوا أمتهم بفتن قد تدوم آثارها السيئة طويلا.

تفيد القراءة التاريخية للصراع الفكري الذي قام بين مسلمي اسبانيا والنصارى الكاثوليك من خلال النصوص التي ألفها الطرفان، بأنه يتجلى عبر مستويين: أحدهما

ظاهري والآخر باطني، ولكل مستوى من هذه المستويات أطرافه وأسبابه وعلاقاته. وإذا كان تحديد مكونات المستوى الأول (الظاهري) أمر يسير، فإن تحديد مكونات المستوى الثاني (الباطني) ليست كذلك؛ فهي تحتاج أن نجتاز حدود القراءة درجة درجة، بحثا عن النفسية المنشأة للأفكار والصور للصراع الفكري بين الطرفين، مع الأخذ بعين الاعتبار أن قوى الصراع كانت غير متكافئة.

2-1- الصراع الظاهري: يقوم بين طرفين؛ جمع خلاله كل طرف لزاويته مجموعة من العناصر لتقوية جانبه نظرا لما لتلك العناصر مجتمعة من علاقات تربطها، وتشكل عناصر الجماعة المسلمة[10] الطرف الظاهري الأول في عملية الصراع، أما العلاقة الجامعة بين عناصر هذا الطرف فهي الجهاد والتضحية بكل صورها في سبيل البقاء على إسلامهم وفي وطنهم الذي لم يرضوا له بديلا.

في حين شكلت السلطات الإسبانية بكل مؤسساتها العناصر الأساسية للطرف الظاهري الثاني. أما العلاقة الجامعة بين العناصر المكونة لهذا الطرف، فهي مسخ مقومات الشخصية الإسلامية للجماعة المسلمة في اسبانيا، واستغلالهم ماديا وجسديا في بناء مجدهم ودولتهم على حسابهم. فالصراع الظاهري بالنسبة للطرف الاسباني، تمثل في ثلاث مؤسسات:

أ- **المؤسسة السياسية:** تزعمها الملوك وكبار الشخصيات في البلاط الملكي ابتداء من الملكين الكاثولكيين[11] إيزابيلا (Isabella)[12] وفرناندو (Fernando)[13]؛ فالملك كالوس الخامس(CarlosV)[14]، وصولا إلى فليب الثاني(FilipeII)[15]؛ هؤلاء اجتهدوا في سن القوانين والتشريعات القاضية بمسخ معالم الدين الإسلامي في إسبانيا.

ب- **المؤسسة الدينية:** تفرعت هذه المؤسسة إلى قسمين: محاكم التحقيق[16] التي كانت الأداة الفعالة للسهر على تطبيق هذه القوانين والمراسيم[17]. ثم الكنيسة الكاثوليكية، هذه الأخيرة سعت بكل ما لديها من وسائل لانجاح مشروع التنصير القهري.

ج- **المؤسسة العسكرية**: لقد حاولت هذه المؤسسة فرض قوة وهيمنة السلطتين - السياسية والدينية - على الأقلية المسلمة التي رفضت البوتقة في المجتمع النصراني.

أما فيما يخص الطرف الإسلامي، فقد تمثل صراعها الظاهري مع قوى الظلم والاستبداد في مختلف حركات المقاومة الإسلامية من انتفاضة البيازين[18] سنة 1499م[19]؛ فحرب البشارات[20] الأولى سنة 1500م[21]، وصولا إلى حرب غرناطة الكبرى الممتدة من سنة 1567 إلى سنة 1569م[22]، واستمرت المقاومة المسلحة إلى غاية سنة 1611م[23] أي بعد صدور وتطبيق قرار الطرد النهائي للمسلمين من إسبانيا[24].

2-2- الصراع الخفي: يتجاوز الصراع الخفي أو الباطني، المظاهر الصراعية البادية على أرض الواقع، ليلامس أماكن أكثر عمقا في "ذات" وتاريخ طرفي الصراع. فلم تعد اغتصاب الأرض الأندلسية من قبل الإسبان، هي الأسباب الحقيقية للصراع، بل إن المقاومة بكل أشكالها الفكرية والمسلحة كانت قصد حماية مقومات شخصيتهم الإسلامية؛ والتي هزت أركان إسبانيا الكاثوليكية مغيرة قيم الباطل بقيم الحق.

بناء على هذا المنظور، لم يعد الصراع صراعا من أجل استرداد[25] الأرض المغتصبة فحسب، وإنما أصبح استردادا لوظيفة الأمة الأندلسية المسلمة الحضارية المستلبة واتزانها النفسي الغائب بفعل الغزو الاستلابي الصليبي الحاقد[26]؛ إذ يعد الاستلاب عنصرا أساسيا من العناصر التي تدخل في صميم وظيفة المحتل الغاصب أين يشكل التحريف والحقد والتعصب الأعمى أبرز أعمدته.

لقد كان الصراع الباطني محاولة من الطرف المغلوب عليه فرض منطقه وتفكيره على أرض الواقع، فمسلمو اسبانيا حاولوا إيجاد سبل ووسائل للاحتفاظ بالعقيدة والوطن معا، ومن أهم ما توصل إليه فكرهم الإبداعي، اللغة الألخميادية (Aljamiadia)[27] التي كانت الضمان الوحيد للحفاظ على الموروث الإسلامي[28] وعدم ضياعه خاصة بعدما منعت

السلطات الإسبانية استعمال اللغة العربية[29] مخاطبة وتأليفا وتعليما ومعاملة[30]، ومصادرة وحرق كل التراث الإسلامي[31].

لقد اختلف المؤرخون واللغويون حول الأسباب التي دفعت مسلمي إسبانيا لكتابة إنتاجهم الفكري باللغة الألخميادية؛ فمنهم من برر ذلك في تفادى ملاحقة محاكم التحقيق، وهناك فريق آخر رأى أن مسلمي اسبانيا أرادوا المحافظة على سرية الموضوع المطروح في الكتاب، ولنا هنا تحفظان: الأول هو أن السلطات الإسبانية كانت تضم في هيكلها الإداري مترجمين يجيدون اللغة العربية حتى تتعرف على أسرار عدوها في الداخل والخارج. والتحفظ الثاني هو أن محتوى تلك النصوص لم يكن ممنوعا على المدجنين (mudejares)[32]، وهم فيما نظن مؤلفوها الأصليون.

لم نصل بعد إلى نتيجة حاسمة، لكن أقرب التفسيرات إلى تفكيرنا هو رغبة المدجنين ثم مسلمي اسبانيا بعد سقوط غرناطة من بعدهم في المحافظة على شيء يميزهم عن مجتمع الأغلبية النصرانية؛ فاللغة العربية كانت وسيلة من وسائل المحافظة على هويتهم الإسلامية، هذا من ناحية. ومن ناحية فقد كانت معظم المخطوطات التي كتبها مسلمو اسبانيا ذات موضوعات إسلامية مقدسة، ومن ثم كان لابد أن تكتب بحروف عربية التي كتب بها القرآن الكريم، وهو كلام الله عز وجل أنزله على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم.

بناء على هذه المعطيات يجب التعامل مع ثقافة مسلمي إسبانيا بنوع من التريث لإدراك النظرة العميقة لهذه الثقافة. ففي هذا الإطار نجد لدى مسلمي اسبانيا تعاملا خاصا مع اللغة التي كانوا يترجمون بها النصوص الدينية من قرآن وحديث وغيرهما من تلك التي كان لها اتصالا مباشرا بتعاليم الدين إسلامي.

أملاه هذا التعامل ذلك الرفض لكل ما هو نصراني؛ فكانوا يتجنبون استعمال أي كلمة يمكنها أن تؤدي إلى اختلاط مع طقس أو معتقد نصراني. وقد وصل الأمر ببعض المسلمين الذين يكتبون نصوصهم بالخط اللاتيني إلى الاحتفاظ بكتابة كلمة **"الله"** بالحروف العربية وسط نص كله حروف لاتينية. فكلمة **"الله"** في نظرهم لا تترجم بـ"Dios" لأنه غير معقول أن يكون "Dios". النصارى مطابقا لـ"الله" المسلمين؛ فالنصارى يعبدون المسيح أي "Dios". وانطلاقا من هذا الطرح رفض مسلمو إسبانيا

مطابقة الله بـ"Dios". وإذا اضطر المؤلف إلى ترجمة كلمة **"الله"** يستعمل "Senor" بمعنى "سيد" حتى يتحاشى استعمال كلمة "Dios"؛ فعندما يترجم عبارة **"لا إله إلا الله** يكتب: no hay senor sino Allah[33].

كذلك نجد بعض الأحيان ترجمة للعبارات: "تعالى" و"سبحانه" و"عزّ وجلّ" الخاصة بذكر الله نوضحها في هذا الجدول بالشكل التالي[34]:

العبارة	الترجمة إلى اللغة الألخميادية
الله تعالى	الله انت ءاش
الله سبحانه	الله باندتءاش
الله عز وجل	دابوش دزا ءال نبلاتن باندت ءاش ش نبلاز

أما السلاح الثاني الذي استخدمه مسلمو اسبانيا للبقاء في وطنهم الأم الذي لم يرضوا له بديلا أسلوب التقية[35] قولا وعملا[36]، وعلى هذا الأساس صارع مسلمو إسبانيا للحفاظ على دينهم بالاعتماد على سياسة المداراة والمصانعة، ذلك أنهم لم يجدوا من سبيل يسمح لهم بالعيش في سلام وسط التركيبة الاجتماعية الجديدة لإسبانيا النصرانية الكاثوليكية، التي حملت على عاتقها مهمة تنصير جميع المسلمين الباقين في إسبانيا سوى اعتماد التقية.

رغم ضروريات التقية التي كانوا يمارسونها، إلا أنه الكل كان يجتهد ويعمل في حدود مكانته الاجتماعية وإمكانياته الثقافية، فالفقيه كان يؤدي واجباته الإسلامية سرا، بتعليم أفراد جماعته أمور دينهم، وينظم شؤونهم، بينما كان يظهر بين الناس في شكل عامل من العمال. ويتظاهر رئيس الجماعة بضعف الحيلة، والغني بالفقر، ويخفي التقي المسلم تقواه بمظاهر نصرانية. كما حرص الآباء على تعليم أبنائهم، الحذر من النصارى، وضرورة التستر والحذر على أساس أن التقية هي أحسن وسيلة للبقاء في كنف أسرهم وبين ذويهم[37].

كما عمد مسلمو إسبانيا على الحفاظ بعادتهم وتقاليدهم قدر الإمكان، وكلما سمحت لهم الظروف بذلك، فكانوا يقيمون الاحتفالات فيما بينهم سرا في مناسبات كثيرة، كالزواج والختان وولادة مولود جديد؛ فكانت الأم المسلمة بمجرد العودة من الكنيسة تسرع إلى إزالة آثار التعميد لتعطيه اسما عربيا في وسط احتفال سري مع

الأصدقاء؛ كما حافظوا على الطهارة بالاغتسال سرا. كل هذه المجهودات المبذولة لم تكن سوى دليلا قاطعا على عدم اندماج مسلمي إسبانيا في البيئة النصرانية الكاثوليكية ورفضهم لها. أيضا اختلط مسلمو اسبانيا مع النصارى في النهار لدرجة توهم المراقب باندماجهم التام في المجتمع النصراني. غير أنهم كانوا في الحقيقة حريصين على الاحتفاظ بهويتهم الإسلامية، فكانوا يتكلمون فيما بينهم اللغة العربية، ويقيمون الشعائر الإسلامية[38].

3- الدوافع المحركة لظاهرة الصراع الفكري في إسبانيا النصرانية: عندما تتغير مقاييس الزمن وتنحسر موازينه الطبيعية، يصاب المثقفون والأدباء ومنتجو الفكر بحالة من اليأس والقنوط والتراجع. وتسيطر عليهم النزعة الذاتية التي تتجاوز ساحة الصراع والمنافسة الفكرية والثقافية إلى درجة تظهر فيه روح العداوة والضغينة وتنعدم فيها أسباب الثقة وتتضخم فيها السلوكيات الخاطئة مثل الريبة والشك والتناحر الشخصي. وبذلك تضيع أخلاقية التسامح والألفة والمحبة والنقد الموضوعي البناء بين الأدباء ورجال الفكر.

3-1- الدوافع العسكرية والسياسية: حاولت الحروب الصليبية التي اندلعت رحاها بين العالم النصراني والإسلامي، القضاء على هذا الأخير، بتوظيف الدين كعنصر أساسي لتحريك الساسة والعامة لخوض معركة أطلقوا عليها "تنظيف العالم من الهرطقة"[37]؛ وعلى هذا الأساس تحركت الجيوش وأعلنتها حربا ضروس ضد الإسلام والمسلمين.

لما فشلت هذه الحرب في تحقيق مبتغاها على أرض المشرق، أرادت الصليبية إعادة إحيائها على أرض الأندلس، فقد عرفت هذه الأخيرة تعايشا سلميا بين أصحاب الديانات الثلاث- الإسلام والنصرانية واليهودية- لأكثر من ثماني قرون من الدهر في ظل الحكم الإسلامي، يمارس أتباع كل من الديانات الثلاث اليهود والنصارى والمسلمين طقوسهم وشعائرهم الدينية بكل حرية ودون تعصب، ولكن روح الصليبية التي بدأت بدرة في الشمال الأندلسي ثم ما فتأت تنمو وتكبر إلى أن تحولت إلى قوة بعد ضعف المسلمين وتشتت وحدتهم قضت على هذا التعايش السلمي[39].

ساهم الضعف السياسي والعسكري الذي عاشته الأندلس خلال هذه المرحلة إلى تغيير موازين القوى، إذ أخذت تتهاوى المدن الأندلسية الواحدة تلوى الأخرى[40]، ومعها أخذ يتبلور في الفكر النصراني مشروع القضاء على الإسلام من على أرض الأندلس وإعلانها حربا عقدية فكرية بعد تحقيق النصر العسكري والسياسي. وهذا ما كان لها، فبعد القضاء على كل الإمارات الإسلامية في الأندلس لم يتبق أمامها سوى غرناطة التي كانت الحجر العائق في تحقيق "مشروع الوحدة النصرانية الكاثوليكية"، لهذا سعت جاهدة في القضاء عليها وإسقاطها إلى أن تم لها ذلك سنة 1492م[41]؛ بعدما ساهمت مجموعة من المعطيات بشكل مباشر في رسم هذه النهاية المأسوية[42].

سعت المبادرة الأولى التي شاركت بها الدولة والكنيسة الكاثوليكية بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس مباشرة، إلى استقطاب المسلمين إلى العقيدة النصرانية الكاثوليكية، وتلت هذه المبادرة حملة تنصيرهم قهرا، وإذا كان مرسوم عام 1502م القاضي بتخييرهم بين التنصير أو الرحيل[43]؛ فإن القوانين التي صدرت بين سنتي 1511-1526م أكدت هذا الاتجاه لتشمل تحريم جميع الممارسات والشعائر الإسلامية[44].

ولتحقيق مشروع "النقاء الديني" لتسود النصرانية الكاثوليكية المحرفة كافة أرض الأندلس أسست السلطات الإسبانية محاكم التحقيق، هذه الأخيرة كانت أهم مؤسسة وأداة في محاربة ما اصطلح عليه تاريخيا بـ"الهرطقة"[45]؛ فبعد قرابة ثلاث قرون على إنشاء هذه المؤسسة التي استهدفت في بداية الأمر النصارى المتهمين بالانحراف عن الطريق الصحيح تم تأسيس على عهد فرناندو وإيزابيلا محكمة تحقيق إسبانية[46]. تمثلت مهمتها الرئيسة في محاربة مجموعة من "الجرائم" الدينية أو السياسية أو الأخلاقية التي اعتبرت محرمة من قبل الكنيسة الكاثوليكية وملك إسبانيا[47].

يبدأ عمل محاكم التحقيق بمجرد تقديم بلاغ أو تحصيل معلومات عن طريق اعتراف أحد الموقوفين، الذي يكون في معظم الأحيان شخص شارك في إحياء شعيرة من شعائر الدين الإسلامي كصلاة الجمعة مثلا، أو حضر احتفال زواج أو ختان؛ وبالتالي فإن اتهام أحد أفراد العائلة أو مجموعة منها يورط الباقين؛ فيقوم عمال

محاكم التحقيق بالقبض على المتهم ليتم استجوابه باستعمال أبشع أساليب التعذيب، ليقرر المحققون فيما بعد ما إذا كانت التهم المنسوبة إلى المبلغ ضده تجعله مرتكبا لجريمة "الكفر"، أو تلقى عليه فقط شبهة ارتكابها، وكان ينتهي رأيهم دائما بالإدانة، إلا في حالات نادرة، وعلى إثر هذا التقرير يصدر النائب حكمه على المتهم بالزج به في سجن الديوان السري بتهمة الزيغ والكفر، وكانت هذه السجون غاية في الشناعة[48]. أما فيما يخص الأحكام التي كانت تصدرها محاكم التحقيق فقد تمثلت في نوعين[49]:

- **الجلد:** كان المتهم يساق إلى مكان عام عاريا لينفذ عليه أمر الجلد، وغالبا ما كان يموت تحت وطأة الألم.

- **الإعدام:** يعتبر الحكم الأكثر صدورا عن محاكم التحقيق، وكان يتم حرقا[50] وسط المدينة[51].

سعت محاكم التحقيق باعتمادها لكل وسائل العنف والإرهاب إلى تنصير مسلمي إسبانيا، إلا أن هؤلاء استمروا في ممارسة شعائر دينهم بصورة سرية، فكانوا يؤدون الصلاة سرا في بيوتهم، وكانوا يغلقون بيوتهم يوم الأحد موهمين السلطات بأنهم ذهبوا إلى الكنيسة، وعندما يتم تعميد أطفالهم في الكنائس يبادرون إلى غسلهم بعد رجوعهم إلى بيوتهم مباشرة وكانوا يعقدون حفلات الزواج على الطريقة الإسلامية مباشرة بعد إجراء الاحتفال العلني في الكنيسة.

2-3- العوامل السيكولوجية المحركة لظاهرة الصراع الفكري: تنقسم أسباب الصراع مثلما تنقسم أطرافه، إلى أسباب ظاهرة وأخرى خفية، وإن كانت مختلف النصوص التاريخية تبرز الكثير عن الأسباب الظاهرة للصراع الدائر بين الإسبان والأقلية المسلمة، فإنه يكتفي بالتلميح فقط، عن أسباب الصراع الخفية؛ تاركا للباحث المشاركة في الكشف عنها؛ من منطلق أن القراءة أي قراءة، ما هي إلا نقطة التقاء بين سيكولوجيتين بالأساس. ولا يمكن لهذا الالتقاء أن يكون مثمرا، ما لم يكن هناك تفاعلا بين السيكولوجيتين.

لم يبق لمسلمي إسبانيا أمام هذه التطورات الخطيرة سوى خوض صراع أقحموا فيه إقحاما بالرغم من أنهم حاولوا التعايش مع الوضع الجديد بعد سقوط غرناطة وتقبل الأمر الواقع، إلا أن الحرب التي أعلنتها اسبانيا بكل مؤسساتها ضد مقومات شخصيتهم الإسلامية أجبرتهم على خوض صراع طويل. فمن بين المؤهلات التي يجب الإلمام بها في هذا المجال الاطلاع على منشأ وأسس ومنطلقات النظرية السيكولوجية وتتبع مختلف التطورات والتنقيحات التي مرت بها خلال مقاربتها لظاهرة الصراع، والتوقف عند أهم الملاحظات والاستنتاجات المسجلة عليها من قبل الباحثين أيضا. لنستطيع بعد ذلك، اتخاذ المسار الذي يرتضيه الموضوع قيد الدراسة.

لا يخرج الحديث عن الصراع وآلياته النفسية بين المسلمين والنصارى الكاثوليك في إسبانيا، عن المقتضيات السابقة أي معرفة كشوفات علم النفس فيما يخص فكرة "الصراع" عموما، ومعرفة تمظهراتها عند الطرفين بشكل عام وكيفيات تجليها في ممارستهم اليومية. وبهذا ينصب اهتمام النظرية السيكولوجية، في تعاملها مع الظاهرة تحليلا ونقدا على الدلالات الباطنية في موقف كل طرف والذي سيتأثر بطريقة مباشرة بالعقل الباطن عندهما أكثر من تأثره بعقله الواعي.

على هذا الأساس ينبني التحليل النفسي للظاهرة عند علماء النفس والاجتماع، على اعتبار "المعنى بنية رمزية حافلة بأبعاد رغم تعتيمها وتحريفها". وبالتالي يصبح من المهم على المحلل أن يضع في حسابه، أن كل شيء يمكن أن يكون رمزا. وفك شفرات تلك الرموز لا يكون إلا بالرجوع إلى خصوصيات الفكر لدى كل طرف والنبش في مكونات شخصيته، للوصول إلى تركيبة دوافع "الصراع" لديه، الكامنة في عالم "اللاشعور"[53]؛ فينطلق من رؤية تحدد الإبداع في ثلاث عوامل هي: الوسط الاجتماعي وتاريخه وشخصية المبدع واللغة وتاريخها، وعليه فيجب أن نقيم أن الصراع الخفي الذي كان دائرا بين الطرفين تمثل في ذلك الإنتاج الإبداعي الذي خلفه مسلمو اسبانيا للتعريف بتوجهاتهم وطريقة تفكيرهم وعليه يجب علينا تقييم هذا الإنتاج من حيث:

- ارتياد عالم النص الألخميادي باعتباره ظاهرة أدبية ولغوية وليس كوثيقة معرفية.

- التنقيب في عتمة لاشعور المبدع عن العناصر المكونة للأثر الإبداعي وفيما اختاره من عبارات وأفكار تمثل– في الحقيقة- الجانب اللاواعي من حياته الخفية؛ التي تقودنا إلى الصور الأسطورية والحالات المأساوية والباطنية التي انطلق منها الأثر الإبداعي.

انطلاقا مما ذكر يعتبر موضوع الصراع وآلياته من خلال الأعمال الأدبية[54]، من المواضيع الأساسية في النظرية السيكولوجية عموما، إلا أن منجزات "النقد نفسي" وما حققه على المستويين النظري والتطبيقي ووضعه التحليل النفسي في خدمة النصوص لا العكس جعل هذه الدراسة تختار مقولاته وتصوراته في دراسة الصراع الفكري بين الإسلام والنصرانية في إسبانيا وفق العناصر التالية:

- تجليات الصراع وعناصره من خلال ما خلفه مسلمو اسبانيا من إنتاج أدبي، وما كتبه الأسبان في هذا المنظور.
- الآليات النفسية للصراع ودلالاتها في هذا الإنتاج.

ـ لا تقتصر دراسة النص الألخميادو على تحليل الأثر تحليلا شكليا ولغويا[55] ولا على تحليله تحليلا نفسيا، وإنما بتأسيس وحدة بين التحليلين. وذلك بالبحث في الصلة بين جوانب النفس اللاشعورية للشخصية المبدعة – من جهة- والشبكة الدلالية في العمل الإبداعي من جهة أخرى.

3-3- إسهامات الظروف الاجتماعية في تسيير ظاهرة الصراع: يسعى السلوك الفعلي لأي فرد في المجتمع للعمل على حل المشكلة في ضوء التطور الذي حدده كل طرف؛ وتتضمن هذه المرحلة التكتيك المستخدم من كل طرف لإيجاد مخرجا. وخلال هذه المراحل يحاول كل طرف إظهار آلية دفاعية للتعبير عن عدم رضاه، من خلال جلب الانتباه والتبرير والتعويض والإسقاط والعزل والعودة للماضي، والضغط ، والتخيل، والسلبية، والبحث عن طرف يحمله المسؤولية.

يعتبر الفعل الاجتماعي هو صورة للسلوك الإنساني. ويكون فعلا عندما يخصص الفرد معنى ذاتي معين لسلوكه؛ والفعل يصبح اجتماعيا عندما يرتبط المعنى المعطى لهذا الفعل بواسطة الفرد، بسلوك الأفراد الآخرين ويكون موجها نحو سلوكهم[56]. وفقا

لهذا المنظور يجب فهم السلوك الاجتماعي أو الظاهرة الاجتماعية على مستويين، المستوى الأول أن نفهم الفعل الاجتماعي على مستوى المعنى للأفراد أنفسهم. أما المستوى الثاني فهو فهم هذا الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي بين جماعات الأفراد وفهم دوافعهم ونواياهم، فكلما كانت أهداف الأطراف المتنازعة غير محددة طالت عملية الصراع الاجتماعي، وكلما كان الصراع حادا وعنيفا كانت الجماعات المتصارعة بالغة التحديد والوضوح. وكلما تزايدت حدة الصراع، تزداد تضامن كل طرف اجتماعي من الأطراف المتصارعة لأن كل طرف يشعر بأن مصيره واحد ومشترك[57]، الذي يتعرض من خلاله لقمع فكري ونفسي يجعله مغتربا عن ذاته وعن حقيقة الواقع الذي يعيش فيه، ومغتربا حتى عن وعيه عن هذا الواقع، وبالقولبة الفكرية التي يتعرض لها ليكون مستوعبا داخل النظام.

إن المتتبع للأحداث التاريخية في إسبانيا خلال القرنيين 16-17م يلاحظ أن السلطات السياسة والدينية الإسبانية لم تدخر أي جهد أو وسيلة في تحقير كل المقومات الدينية والثقافية الإسلامية والمساس بكل ما هو مقدس؛ فقد فرضت على المسلمين حربا اعتمدت على منطق التغيير الخارجي ليأتي بعده التغيير الداخلي، اذا هي حرب تقوم على فرض السيطرة على الأرض بالجيوش وفرض الولاء والتبعية بالقوة وباستخدام العنف كمرحلة مبدئية[58]، وتكون بعدها المرحلة الثانية وهي التغيير الذاتي للفرد كتغيير ثقافته وعقيدته وأفكاره لتكون ملائمة لها؛ فقد تعرض المسلم في اسبانيا لقمع فكري ونفسي جعله مغتربا عن ذاته وعن حقيقة الواقع الذي يعيش فيه، ومغتربا حتى عن وعيه عن هذا الواقع، وبالقولبة الفكرية التي يتعرض لها ليكون مستوعبا داخل النظام؛ أمام كل هذه التناقضات لم يكن أمامه من وسيلة للتعبير عن رفضه لهذه السياسة إلا خوض الصراع الذي فرض عليه في معركة البقاء.

إن الصراع الذي دار بين الجماعة المسلمة والأسبان في مرحلته التاريخية هذه التي يمثلها، ليست بين غاصب للأرض والدين، والعرض والمال فحسب؛ وإنما هو صراع متصل الحلقات بين الصليب النصراني المحرف الحاقد، والتعاليم الإسلامية

السمحاء. إنه الصراع الأزلي بين الإسلام والنصرانية المحرفة، بمعنى صراع بين الحق والباطل والإيمان والكفر.

الخاتمة: لقد عاش مسلمو إسبانيا إرهابا فكريا وتصفية جسدية طبقتهما عليهم السلطات الإسبانية بكل مؤسساتها، هذه الأخيرة عملت جاهدة على طمس لا شعوره الجمعي وهدم رموزه المقدسة. وقد أدرك مسلمو إسبانيا ذلك مبكرا، فاندفعوا محاولين الوصول إلى إنتاج توازن جديد يعيد للمجتمع دوره الحضاري المعطل وحقوقه الشرعية المستلبة. وسجلوا ذلك على امتداد مشوارهم النضالي عموما والأدبي بشكل خاص.

تشير البحوث العلمية إلى أن أي شخصية ثقافية تواجه تحديات مصيرية ترد على التحدي عن طريق الإلحاح على مكوناتها الأساسية. هذه الأخيرة جمعت عنصرين "الدين" و"اللغة". وبالفعل فعنصر "الدين" مكن مسلمو إسبانيا من مواجهة الاندماج في الثقافة النصرانية بكل مقوماتها، حتى وإن تأثر بها بعض الشيء ليس بحكم الاقتناع بها، ولكن بحكم مجاورتها مدة أكثر من ثماني قرون من الزمن، ونظنها ليست بالمدة القصيرة؛ فالدين الإسلامي شكل قوة إسناد فعالة في تلك المواجهة.

كما أن اللغة كانت عاملا قويا في الحفاظ على مقوماتهم الإسلامية، هذا ما تفطنت إليه السلطات الإسبانية، فسارعت إلى منعها، والقضاء على كل وسيلة يمكن عبرها إحياءها، إلا أن مسلمي اسبانيا كانت لهم كلمتهم في ذلك، فلم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام هذا المسخ الثقافي، بل واجهوه، فأبدعوا في ابتكار لغة تحاور وتعامل جديدة، ألا وهي اللغة الألخمیادية.

لقد كانت هذه اللغة وسيلتهم في إبراز موقفهم الإبداعي في أحلك الظروف وأصعبها، هذا من جهة، ومن جهة أخرى رمزا من رموز الرفض القطعي والجازم لكل ما هو إسباني على وجه الخصوص، ونصراني عموما.

وكخلاصة لما ذكر أعلاه يمكننا تسجيل النتائج التالية:

- بقيت الأمة الأندلسية الشهيدة أو ما تبقى منها في ظل كل تلك الظروف القهرية والصعبة مسلمة وعربية، بكل القيم التي تحملها العروبة والإسلام عبر الأزمان. وقد ساعدتها خواصها الذاتية الفريدة كالنفس الطويل والقدرة

على الإبانة وفهم الواقع، القدرة على التحدي، قوة الإرادة، إرادة القوة، إرادة الإبداع والابتكار، نقد الآخرين واكتشاف العلاقات الدقيقة على تطوير آلياتها الإبداعية وترجمة مطالبها وحاجاتها النفسية والاجتماعية على شكل صراع فكري وعقائدي اتخذت له وسائل وطرق شتى.

- مثلت الأزمات والمحن التي مر بها مسلمو إسبانيا، اختبارات حقيقية شحذت همتهم وضبطت نفسيتهم وحددت مساراتها النضالية والإبداعية معا.

- لا تتم العملية الإبداعية في الواقع الموضوعي، بل تتم في دخيلة المبدع أي في نفسيته وعقله ثم تجد لها ترجمة في الواقع الموضوعي، الذي يفرز لنا فيما بعد إنتاجا فكريا يختلف كثيرا عن غيره إذا تم في ظروف مناسبة- ينبني الإنتاج الفكري على موضوع مصارعة المحتل المغتصب. وهو الموضوع الذي تسري بين بنياته مكونة الأيديولوجيا التي تؤثّث جميع مفاصله وتهيمن على جميع أرجائه. فسواء إن انطلقنا من العنوان الرئيس أو من العناوين الفرعية، فإنه بالإمكان مصادفة طابع الصراع والمطارحة والاحتجاج. بيد أنه بإمكان أي باحث من خلال وقوفه عند المطابقات والمقابلات وغيرهما في الإنتاج الألخميادي، أن يدرك بأنه لم يأت صياغة أو تنميقا، وإنما كان تغذية راجعة لثقافة مرحلة تاريخية بأكملها؛ مورس فيها الصراع على الجماعة المسلمة في اسبانيا، فانعكس ذلك على إنتاجهم الفكري بشكل مباشر.

الهوامش:

1- منير محمود بدوى- مفهوم الصراع : دراسة فى الأصول النظرية للأسباب والأنواع- مجلة دراسات مستقبلية- مركز دراسات المستقبل- مصر- جامعة أسيوط- ع:3- يوليو 1997م- ص: 38.

2- تثار أهمية التمييز بين الصراع وبعض أنواع المنافسة- كالتي تحدث في المجالات الرياضية أو العلمية على سبيل المثال -، ففي المنافسة يتعاون الأفراد أو يتنافسون من أجل هدف إنساني، بينما في الصراع، فإن إحداث أو إلحاق الضرر المادي أو المعنوي بالآخرين إنما يعد هدفا محددا للصراع نفسه.---[3]-المرجع السابق- ص: 38.---4-المرجع نفسه- ص: 40.

5- إن مفهوم النزاع هنا إنما يشير إلى الأسلوب أو الطريقة التي يتناول بها متخصصو العلوم الاجتماعية الحديث عن الإجراءات القانونية، وشبه القانونية والمؤسسية المتعلقة بتسوية أو حل النزاع من جانب، كما أن منظور النزاع بهذا المعنى إنما يحول الاهتمام عن الأبنية وعن القواعد الرسمية إلى عمليات الصراع، ومظاهرها.---6- خالد العمرى، المدخل المنظومي في إدارة الأزمات وحل الصراع في النظام التربوي، بحث عرض ضمن أعمال المؤتمر العربي الخامس حول المدخل المنظومي في التدريس والتعليم نظمه مركز تطوير تدريس العلوم بجامعة عين شمس القاهرة - ابريل 2005- ص: 3.---7- خالد العمرى- المرجع السابق- ص: 10.---8-. للاطلاع حول تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: محمد بن عبد الله عنان- دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثاني دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطي- ط : 3- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1988 م.---9- بعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس سنة 897هـ/1492م تغيرت الأمور جذريا وعلى كل المستويات، ذلك أن النصارى المنتصرين لم يكونوا بمستوى التسامح الذي كان عليه المسلمون حكام، وعلماء وعامة المجتمع، إذ أمام التعصب الديني الذي سيطر على الحكام

الأسبان ورجال الكنيسة بدأت بوادر الصراع بين معتنقي الديانتين (النصرانية والإسلام) تظهر وتتصاعد، على أساس أن المهمة الأساسية كانت تقتضي توحيد اسبانيا دينيا بعدما وحدتها سياسيا.---10-كان لمسلمي اسبانيا تنظيما سريا مكون من مجموعات تسمى الواحدة منها " جماعة" لها فقيه يقوم مقام الإمام والمعلم والمرشد والقاضي بين جماعته. ينظر: منتصر علي الكتاني- انبعاث الإسلام في الأندلس- ط: 1- الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد: مجمع البحوث الإسلامية- 1313هـ/1992م- ص:197.---

11- الكاثوليكيين: نسبة إلى الكاثوليكية التي تعني العام أو العالمي، كاثوليكوس. وسميت الكنيسة الكاثوليكية بذلك ؛ لأنها تدعي أنها أم الكنائس، ولأن أصحابها يزعمون أن مؤسسها هو بطرس ويعتبر الباباوات أنفسهم خلفاء له من بعده؛ وتمثل الكنيسة الكاثوليكية أكبر تجمع نصراني في العالم، ينتشر أتباعها في جميع بقاع الأرض ويرأسها البابا، وهو أسقف روما، ومقره مدينة الفاتيكان، يساعده في تصريف شؤون الكنيسة ما يطلق عليه السفارات البابوية التي تصدر بيانات البابا الرسمية، وبعض الوظائف الوزارية مثل وزارة الخارجية، ومجمع الكرادلة الذي يقوم بانتخاب البابا عندما يخلو الكرسي الرسولي. ينظر: بولوس وهبة- موسوعة الأديان- د ط، د د ن- د س ط- ص: 213.---12-**ايزبيلا:** ولدت سنة 1451م، وتوفيت خلال سنة 1504م. ينظر:

Louis Cardaillac- L'Espagne des Rios catholiques (Le prince don Juan Symbol de l'apogée D'un règne-1474_1497-Edition Autrement _ collection Mémoires- P: 23.

وهي ابنة الملك خوان الثاني ملك قشتالة، وحفيدة أنريكي الرابع. ينظر: الزويعي محمود محمود- محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ/1516م)-د ط- دار زهران للنشر والتوزيع- الأردن- د.ت- ص : 42.---13- **فرناندو:** ولد عام 1421م. وأصبح ملكا على صقلية سنة 1468م، ثم ملكا على آراغون سنة 1479م، ينظر:

Rodrigo De Zayas - Les moresques et le racisme d'état et la différence - Paris -1992- P: 82.

بعدها أصبح ملكا على قشتالة سنة 1484م ثم ملكا على نابلي عام 1504م؛. ينظر: عادل سعيد البشتاوي- الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ 100 عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)- ط:1- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- 2000م- ص :123. توفي في 23 يناير من سنة1516م، وأوصى حفيده شارل الخامس بحماية الكاثوليكية والكنيسة. ينظر: عبد الله محمد عنان- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين دولة الإسلام في الأندلس، العصر الرابع- ط:4- مكتبة الخانجي- القاهرة- 1987م- ص: 142.---14--**كالوس الخامس:** ولد في 24 فبراير من عام 1500م من خوانا "Ruina" (المجنونة) في هولندا. تتلمذ على يد وليام دي كرويحاكم شيفر (Chièvres)، بعدها أتم تعليمه أديريان الأترشتي Adrian Utrecht "؛ كما ساهمت عمته الأرشيدوقة مارغريت "Marguerite" هابسبورغ في تربيته وتكوينه. وقد تلقى الأمير الشاب كل تعليمه في الفلاندر فتشبع بالثقافة الفلمنكية، رغم أصوله النمساوية الإسبانية. ينظر: عادل سعيد البشتاوي، الأندلسيون المواركة (دراسة في تاريخ الأندلسيين بعد سقوط غرناطة)، القاهرة: مطابع أنترناشيونال برس، د ط، 1403هـ/1983م.ص: 132.

15-فيليب الثاني: ولد فيليب الثاني عام 1527م في أحد البيوت المجاورة للقديس بابلوضون برناردينو " Bablodoné Bernardino"، التي عاش فيها باستمرار، وتبنى عاداتها وتقاليدها ولغتها. ينظر: الحايك سيمون- ابن أمية أو ثورة الموريسكيين- د ط- د د ن- د ب ن- 1996م- ص: 33. قضى أولى سنوات حياته، بجانب والدته الملكة إيزابيلا البرتغالية، التي كانت تشرف على رعايته، تعينها في ذلك ليونارد يمسكريناس (Leonor de Mascarenhas). تزوج الملك فليب الثاني عام 1543م، من ماريا "Maria" البرتغالية التي توفيت عام 1545م، تاركة وراءها ولدا هو ضون شارل الثاني "Don Charles II". ينظر: محمد عبده حتاملة- التنصير القصري لمسلمي الأندلس في عهد الملكين الكاثوليكيين- دط- د دن- عمان- 1986م- ص: 13.

16-**محاكم التحقيق:** أما اختيارنا لعبارة "محاكم التحقيق" بدلا عن التسمية التقليدية "محاكم التفتيش"، فالسبب يعود إلى أن الأصل التسمية هو "Inquisitio"، من كلمة "Inquiry" التي تعني: تحقيق واستفسار وبحث. إذن، "لجان التحقيق" هي أقرب للمعنى الحقيقي منها "لجان التفتيش" ذلك أن الهدف من هذه اللجان كان التحقيق مع النصارى المتهمين لاستبيان حقيقة موقفهم من الديانة النصرانية الكاثوليكية. لذلك ينبغي أن نوضح حقيقة تاريخية وهي أنه المقصود من خلال هذه العملية هم النصارى غير الكاثوليك، أما المسلمون أو اليهود فلا سلطة لهذه اللجان عليهم لأنهم لا يدينون بالنصرانية. وقد اختلف استعمال تسمية هذه المحاكم من مرجع إلى آخر خاصة العربية منها التي قامت بترجمة التسمية من اللغة الإسبانية، فهناك من اختصر نعتها بمحاكم التفتيش، وهناك من أطلق عليها " ديوان التحقيق". ينظر: محمد عبد الله عنان- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين- (المرجع السابق)- ص: 19.---17- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول عمل محاكم التحقيق ينظر:

Llorente Juan Antonio, Historica critica de la inquisicion d'España, Tome I.

18- **حي البيازين:** أي الصقّارين، والبازي من أسماء الصقر، وقد تحور اسم البيازين في الاسبانية إلى" البايثين" "Albaicin"؛ يقع الحي في شمال شرق غرناطة، اتجاه هضبة الحمراء، ويفصله عنها نهر حدره. ينظر: محمد عبد الله عنان- الآثار الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)- ط:2- مطبعة التأليف والترجمة والنشر- د ب ن- 1311هـ/1921م- ص ص: 167، 169.

19- بلغ التوتر أقصى مداه نتيجة لمحاولات المتكررة للسلطات الاسبانية في الضغط على مسلمي غرناطة بشتى الوسائل لتنصيرهم، وكانت هذه الممارسات تثير غضبهم وتأذن بانفجار شعبي على مستوى حي البيازين، الأمر الذي أدى إلى وقوع اصطدامات بين أهل الحي وبعض الجنود الاسبان؛ نتيجة اعتداء الخادم الخاص بخمينيس سالثيدو "Salcedo" بالاشتراك مع أحد مفوضي الشرطة على فتاة مسلمة في حي البيازين. عندها هب سكان الحي في انتفاضة عارمة، استجابة لصراخ الفتاة، ففر الخادم، وقتل أحد الشباب المنتفضين مفوض الشرطة. ومن ثم سارت جموع المقاومين إلى دار الأب خمينيس للقضاء عليه، لعلمهم بأن هذه الحادثة هي من تخطيطه. واختار المقاومون أربعين رجلا منهم يمثلون مجلس المقاومة، وذلك بعدما أذن لهم علماء وزعماء غرناطة بضرورة حمل السلاح دفاعا على أعراضهم وأرواحهم. ينظر: ذنون عبد الواحد طه- حركة المقاومة العربية الإسلامية بعد سقوط غرناطة- ط:1- دار المدار الإسلامي- بيروت- 2004م- ص: 21. ----20- **البشرات:** هي عبارة عن جبال شاهقة بنواحي غرناطة، تمتد سلسلتها إلى البحر الأبيض المتوسط، تضم في أرجائها غابات وأودية، لذلك اختارها مسلمو اسبانيا معقلا لعملياتهم الجهادية ضد الطغيان الاسباني الصليبي. كما ضمت المنطقة مجموعة من القرى استوطنها المسلمون الفارون من بطش محاكم التحقيق، وقد أصبحت هذه المناطق لوعورتها وصعوبة الوصول إليها ملاذا للمجاهدين الذين قرروا الاستشهاد بدلا من حياة الذل والهوان. ينظر: قشتيلو محمد- الموريسكيون في الأندلس وخارجها- ط:3- منشورات مركز دراسات الأندلس وحوار الحضارات- الرباط- 2008 م- ص: 49.----21- وصلت أنباء اندلاع المقاومة إلى مسمع إيزابيلا فكلفت الكونت تندلة وغومثالو القرطبي "Gonsalvo de Codoba" بإخمادها، فسار هذا الأخير إلى مدينة وجار Guejar"؛ وما كاد فرسانه يقتربون من أسوار المدينة حتى وقع قسم منهم في خنادق حفرها أهل المدينة، تم تغطيتها بالزرع والقش. وخلال الفوضى التي ذبت في صفوف الجيش الإسباني فتح المقاومون أبواب المدينة انقضوا على الجنود الإسبان وقتلوا منهم الكثير. ينظر: بشتاوي، المرجع السابق، ص: 97.إلا أن القرطبي تمكن من التراجع في الوقت المناسب وضرب حصارا على المدينة، استمر فترة غير معروفة، وبعد وصول الإمدادات العسكرية استسلمت المدينة، فدخلها جيش القرطبي وقتل جميع رجالها، وسبى نساءها وأطفالها عن آخرهم، أما الرجال فقد التحقوا بالجبال قبل وصول الحملة؛ ولم يكتف الجنود الاسبان بهذا، بل هدموا المنازل على رؤوس ساكنيها، وأحرقوا المدينة. ينظر:حومد أسعد- محنة العرب في الأندلس- ط:1- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- 1400هـ/1980م- ص: 196.---22-عندما رأى مسلمو اسبانيا أنه لا أمل هناك في تفريج كربتهم وبلواهم أعلنوا القيام بمشروع جريء تمثل في المقاومة بقوة السلاح، بعدما فشلت كل محاولات التفاوض مع ممثلي السلطة الاسبانية. وبعد الرد الصريح الذي ألقاه رئيس المحكمة بدره ديسا أيقن المسلمون أنه من المستحيل إلغاء القوانين المجحفة والظالمة كما حصل على عهد الملك كارلوس الخامس، وأن الحل الوحيد الذي بقي أمامهم إعلان التمرد المسلح على السلطات الاسبانية عسى أن يحقق ما لم تستطع أن تحققه المفاوضات. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول هذه المقاومة ينظر:

Marmol Carvajal- Historia Rebellon y Castigo de los moriscos- Del rieno de de granada- Madrid - 1946.

23- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول مشروع طرد مسلمي اسبانيا ينظر:

- Bronat y Barrachina- Los moriscos Espanoles y su expulsion- Valencia- 1901.

24- لم يكن رضوخ مسلمي إسبانيا لقرار الطرد موقفا استسلاميا، بل اعتبروه مرحليا فقط، الغرض منه الالتجاء إلى العثمانيين لاسترجاع ما ضاع منهم، وهذا ما سجله بعض الرهبان الذين قادوا عملية الطرد من بينهم الراهب **أزمار كاغدونو " Azmar Cardono"** الذي كتب حول الموضوع يقول: **"...خرج المورسكيون من عمليات الطرد؛ وهم يهددون الإسبان بأنهم سيرجعون بمساعدة الأتراك لإعادة الإسلام إلى إسبانيا..."** وأضاف في تقريره بأنه ظل العديد منهم يحتفظ بمفاتيح بيوته على أمل الرجوع. ينظر: براتشينا دون باسكوال بورونا- الموريسكيون الإسبان ووقائع طردهم- تر: كنزة الغالي- ج: 1- ط: 1- مركز العمودي للترجمة ونشر التراث المخطوط- د ب ن- 1433هـ/2012م- ص: 160.---25- إن مصطلح "الاسترداد" له مدلوله التاريخي في تاريخ الأندلس الإسلامية؛ فقد عمد المؤرخون إلى اعتماده عند تناولهم للغزو الصليبي الذي لم يأت بنتائجه الحاسمة إلا على عهد ملوك الطوائف؛ وازداد استفحالا بعد اضمحلال حكم الموحدين، وعدم وجود دولة قوية في بلاد المغرب الإسلامي تستطيع انقاذ

الأندلس من الخطر، كما فعل المرابطون والموحدون من قبل. فاعتماد هذا المصطلح أمر لا يخلو من الخطأ، ذلك أن بلاد الأندلس بقيت تحت الحكم الإسلامي ما يقرب ثمانية قرون من الزمن، وانصهر سكانها الأصليون مع الفاتحين المسلمين سواء كانوا أمازيغ أو عرب، ودخلوا في الدين الإسلامي أفواجا، وحتى الذين بقوا على الدين النصراني أو اليهودي، تعايشوا في سلم وتجانس مع المسلمين؛ فما حدث في بلاد الأندلس لم يكن احتلالا أو استبدادا وإنما فتحا تبعه عدل وحضارة وازدهار. لهذه الأمور كلها فضلنا توظيف مصطلح الاسترداد الذي يعبر بصدق على الحدث التاريخي.---26- بدأت الحملات الصليبية على الأندلس من الشمال إلى الجنوب في شكل طرد جماعي لسكان المدن ومصادرة أملاكهم، حيث هاجر المسلمون نحو الممالك الجنوبية المحاذية لشمال إفريقيا. لكن القادة الصليبيون غيروا خطتهم عند وصولهم إلى مملكة غرناطة حيث بدأوها من الجنوب وذلك بعد انتشار أخبار عن إمكانية وصول المد الإسلامي من الجنوب، لذلك فقد سقطت مالقة قبل غرناطة بحوالي خمس سنوات. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: ابن عذارى أبو عبد الله محمد المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب-تح: بروفنسال ليفي- ج:2 - ط: 3- دار الثقافة- بيروت- 1983م.---27- **اللغة الألخميادية**: اضطر مسلمو اسبانيا إلى ابتكار هذه اللغة للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم والمحافظة على البقية الباقية من تراثهم الديني المكبوت في صدورهم، إذ وجدوا في اللغة الألخميادية المشتقة من القشتالية- المفروضة عليهم- والعربية- المكرهين على تركها- سبيلا للتعبير عن كل ذلك، حيث اختلطت فيها ألفاظ عربية وأعجمية مختلفة من اللهجات القديمة والمعاصرة لهم لاسيما الرومانية أو اللغة اللاتينية"Latin". للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: دي فونتا سالفارو قلماس- ما المشاكل حول نقحرة النصوص الألخميادية الموريسكية، الأدب الألخميادو- الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي، بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات المورسكية – الأندلسية حول :الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو سياسة محاكم التفتيش تجاه المورسكيين- ط:1- مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات- تونس- 2009م - ص: 51.----28- للاطلاع على نماذج من الكتابة بهذا الخط ينظر الملحق رقم 1.

29- أدركت السلطات الاسبانية خطورة مفعول اللغة في معتقد الفرد حيث لمسوا ذلك حتى في تعامل النصارى الجدد مع الكاثوليكية، إذ راحوا يتدرجون إلى جوهره بواسطة اللغة العربية، الأمر الذي تسبب في معضلة التشكيك في النية، مما جعل الاطمئنان إلى صدق إيمانهم يظل مشوبا بالحذر الشديد ويضعهم دائما موضع الشبهات، الأمر الذي وقف عائقا في طريق الاكراه على تبني الكاثوليكية. فبالنسبة لرجال الكنيسة والساسة نستطيع أن نجزم بأنهم أدركوا مبكرا جدلية ارتباط اللغة العربية بالإسلام كعقيدة وتشكلهما في ثنائية ذات علاقة تبادلية يصعب الفصل بينهما، إنه كما يلاحظ شعور طبيعي بالخوف من فعالية هذا المجهول خاصة إذا كان الأمر يتعلق بلغة عدو. لكل هذه الأسباب تواصلت جهود السلطات الاسبانية في تحريم استعمال اللغة العربية تخاطبا وتأليفا، فتم إصدار المراسيم التي تمنع استعمالها؛ إلا أن كل المحاولات الرامية إلى إبادتها كلها باءت بالفشل. ينظر:

-Boronat y BarrachinaPascual- Op.Cit- P : 652.

30_ منعت السلطات الاسبانية استعمال اللغة العربية بهدف دمج مسلمي اسبانيا ضمن المجتمع النصراني. ينظر: طارق محمد خضر- علاقات الموريسكيين بالأراضي العربية المكرمة- بحث نشر ضمن أعمال السجل العلمي للندوة الموسومة بـ: الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات- قس:2، (الموريسكيون، الكتابات، الاستشراقية، الجغرافية والرحالات)- مكتبة الملك عبد العزيز العامة- ط:1- رياض- د د ن- 1417هـ/1996م- ص: 32. فقد بادرت السلطات الاسبانية بزعامة الملكين الكاثوليكيين سنة 1495م، إلى تحريم التخاطب باللغة العربية باعتبارها المانع الوحيد لإتباع الدين النصراني كما اقتنعت الكنيسة الكاثوليكية أن تداول اللغة العربية في اسبانيا يشكل خطرا كبيرا على النصرانية. ينظر:Ibid- P : 652

المنهج نفسه سار عليه كل من خلف الملكين الكاثوليكيين؛ فهذا الإمبراطور كارلوس الخامس يشكل لجنة من ثلاثة عشر كنيسيا وعلمانيا، كلفوا بمتابعة ملف مسلمي اسبانيا؛ وبعد اطلاعه على نتائج أعمال اللجنة أصدر مرسوما سنة1526م يقضي منع استعمال اللغة العربية كلاما وكتابة. ينظر: حايك سيمون- ثورة ابن أمية، أو ثورة الموريسكيين- د ط- د. د. ن- د ب ن- 1996- ص: 30. ----31-اجتهد رجال الكنيسة والساسة على صياغة النصوص القانونية التي كانت ستارا للأعمال البربرية التي كان الكتاب العربي عنوانا لها؛ فقد أقدمت السلطات الاسبانية على حرق الكتب الإسلامية في الساحة العامة دون وعي منها لقيمتها المعنوية أو الجمالية، وكذلك فعلت محاكم التحقيق بمقاطعة أراغون التي أقدمت على حرق آلاف من المصاحف ومختلف

الكتب . ولقد تضاربت الروايات التاريخية حول العدد النهائي للإرث العلمي والديني والأدبي الذي أحرق، فهناك من ذهب إلى أن عددهم تراوح ما بين مليونين كتاب، فيما ذهب فريق آخر أن تعدادهم بلغ حوالي خمسة ملايين كتاب، فيما رفع الرقم فريق آخر إلى سبعة ملايين مؤلف. ينظر:

Don Francisco Javier Simomet, El cardénal Ximenex de Cisneros, y Los manuscritos abàbigo Granadinos, Imprenta de la lealtad à ocargo de J. G. Garrido, Grannada, 1885. pp: 6,8.

32-مدجن: مصطلح مشتق من فعل <<دجن>> يطلق هذا الأخير على كل مسلم لم يغادر الامارات الأندلسية التي سقطت في يدي النصارى الاسبان. وعند سقوط دولة الإسلام في الأندلس سنة 1492م استبدل هذا المصطلح بـ << موريسكوس>> « Moriscos » . وعلى العموم فالمدجن هو المسلم الذي عاش تحت حكم الممالك النصرانية مند سقوط طليطلة سنة 1085م إلى غاية سقوط غرناطة سنة 1492م. ينظر: عبد الواحد دنون طه- أهمية الكتب الفقهية في دراسة تاريخ الأندلس نموذج تطبيقي عن كتاب العبر- بحث نشر ضمن أعمال الندوة الدولية الموسومة بـ: حضارة الأندلس في الزمن والمكان- د.ت- الرباط- 1992م- ص138.----

33-Louis Cardaillac- Morisques et Chrétiens- paris - Librairie Klincksieck-1977-p: 296.

34- دي فوانتا سالفارو قلماس- ما المشاكل حول نقحرة النصوص الألخميادية الموريسكية، الأدب الألخميادو – الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي- بحث نشر ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات المورسكية- الأندلسية حول: الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو سياسة محاكم التفتيش تجاه المورسكيين-ط:1- تونس - مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات- 2009م- ص: 51.---**35-التقية:** أصل هذه الكلمة من وقى، "ووقيت الشيئ، بمعنى صنعه وستره، واتقيت الشيئ وتقيته وأتقيته تقي وتقاء: حذرته" ينظر: ابن منظور بن مكوم أبو الفضل جمال الدين محمد- لسان العرب- مج: 4- ط: 2- دار الصادر- بيروت- 1384هـ/1992م- ص ص: 401، 402. والاسم التقوى والتقية بمعنى واحد. أما اصطلاحا فقد ورد مصطلح التقية في القرآن الكريم، كما نجد توظيف هذه المصطلح في العديد من الأحاديث النبوية. ومن بين الآيات التي أشار الله إلى التقية بصورة مباشرة نذكر قوله عزوجل في محكم تنزيله: **{ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ}**.ينظر: سورة آل عمران، الآية رقم: 28.---36- لعل الظاهرة التي استقطبت معظم الباحثين عند دراستهم لمظاهر الحياة اليومية لمسلمي إسبانيا هي أسلوبهم في الحفاظ على دينهم بإظهار النصرانية وإبطان الإسلام، فكانت التقية الوسيلة الفعالة أمام أساليب التمزيق والتفريق التي اتبعتها السلطات الكنسية والرسمية في اسبانيا. للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر: بدرو لونغاس- الحياة الدينية للموريسكيين الأندلسيين- تع: عبد الرحمان جمال- د ط- منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق- زغوان- 1992م.

37- Marmol Carvajal,Op.Cit, P : 128.

38-Liorente Juan Antonio, Historica critica de la inquisicion d'España, Tome I. P :121.

39- الهرطقة: مصطلح كنسي يشير إلى رأي أو فكرة مبتدعة تتعارض مع معتقدات الكنيسة أو النظام المرتبط بها. والهرطقة كلمة أصلها يوناني هو "hairesis" أخذها الأوروبيون في البداية من اللاتينية، ثم نقلت عن الفرنسية القديمة "HERESIE". ولا تعني هذه الكلمة أكثر من "الاختيار أو التفضيل" لذا كان النصارى الأوائل بالنسبة للرومان نوعا متقدما من الهراطقة لأنهم فضلوا مفاهيمهم على المفاهيم التي كانت سائدة آنذاك ورفضوا تقديم الأضحيات للإمبراطور واعتبروا ادعاء بعض الأباطرة الالوهية باطلا. ينظر: عادل البشتاوي، المرجع السابق. ص:209.---40- تبدأ المحنة الأندلسية كليا مع بداية الفتنة الداخلية التي اجتاحت عاصمة الخلافة الإسلامية قرطبة سنة 1009م. للاطلاع على معلومات أكثر حول الموضوع ينظر: ابن عذارى المراكشي- المصدر السابق.---**41-** لقد كانت حقبة ملوك الطوائف الإرهاص لما آلت إليه الدولة الأندلسية في منتصف القرن السابع الهجري الموافق للقرن الثالث عشر الميلادي منحصرة في مملكة غرناطة الصغيرة بعد أن غدت قواعدها القديمة الكبرى (قرطبة وإشبيلية وسرقسطة وبلنسية ومرسية.. وغيرها) مدنا إسبانية نصرانية، وغدا ميزان القوى في إسبانيا بيد مملكة قشتالة الكبرى، ولتبدأ من ثم مرحلة استئصال الوجود الإسلامي نهائيا منها. للاطلاع على معلومات أكثر حول الموضوع ينظر: المصدر نفسه.

42- شكل سقوط غرناطة مأساة كبرى، لأن ذلك لم يكن سقوط دولة، وإنما سقوط حضارة، كان يمكن لها أن تكون نقطة انطلاق لبداية جديدة، فسقوطها قلع شعبا مسلما من جذوره وعرضه للضياع الكامل، ومن هنا تأتي فرادة النكبة التي حلت بالإسلام والمسلمين في الأندلس. وذلك لأن أسباب السقوط عديدة، ولا نعرف على وجه التحديد شكل النتائج إذا تخلف واحد

منها.----43- لقد أسهمت عدة نكبات في سقوط الأندلس وضياعها من يد المسلمين، وكل الكوارث التي عرفتها المنطقة لعبت دورا بارزا في رسم معالم المحنة وتحديد مسارها، عبر القرون، فهناك منعطفات حاسمة على طريق المحنة، وذلك لارتباطها بظروف زمانية أو مكانية خاصة، أو لما تميزت به من خصوصية نوعية.---44- خافيركاستير فرناندیس- النبلاء الموريسكيون: وهم تاريخي وواقع اجتماعي- أعمال المائدة المستديرة بعنوان: الأدب الألخميادو- الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي- منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات- المعهد الأعلى للتوثيق- تونس- أبريل 1995م - ص ص : 172، 173.---45- دومينغيث اورتيث برنارد فينسينت- تاريخ الموريسكيين مأساة أقلية- تر: عبد العال صالح- مر وتق: جمال عبد الرحمان- ط: 1- المشروع القومي للترجمة- القاهرة- 2007م- ص:29.---46- عادل سعيد البشتاوي- الأمة الأندلسية الشهيدة- (المرجع السابق)- ص:218.---47-المرجع نفسه- ص:214.---48- لوي كارديناك- الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون المجابهة الجدلية- تر: عبد الجليل التميمي- د ط- تونس- منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية- 1983م- ص333.---49- حتامله محمد عبده- المرجع السابق- صص111-112.-----50 محمد علي قطب- مذابح وجرائم محاكم التفتيش في الأندلس- ط:1- د.ت- د د ن- صص88-89. ----51- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول عمل محاكم التحقيق على عهد الملكين ايزابيلا وفرناندو ينظر: الزويعي محمود- محاكم التفتيش الاسبانية (922هـ/1516م)- دار زهران للنشر والتوزيع- الأردن.---52- برزت مشكلة إدارة التعددية الدينية والثقافية للشعب الذي وضع تحت سيادة المملكة؛ إذ لم تنحصر هذه المسألة على إسبانيا فقط، بل تميزت هذه الحقبة بسقوط الإمبراطورية البيزنطية وتوسع الخلافة العثمانية التي مثلت الذرع الحامي للإسلام والمسلمين في منطقة البحر الأبيض المتوسط، على وجه الخصوص، والعالم الإسلامي عموما. وأمام هذا الزحف الإسلامي عبر الملوك الذين تداولوا عن رغبتهم في الوحدة والنقاوة الدينية التي كانت تبدو لهم أساسية من الناحية الزمنية والروحية، حيث كان من المستحيل آنذاك، الفصل بين الحكم السياسي والديني، وهو ما يعني عدم البحث عن الروح المشاركة بين الديانات، فالنصرانية كانت تحارب ما أسمته "الهرطقة" سواء كانت يهودية أو مسلمة أو بروتستانتية.

53- زين الدين المختاري- المدخل إلى نظرية النقد النفسي- منشورات اتحاد الكتاب العرب- القاهرة- 1998م- ص17.

54- للاطلاع على نمادج من الابداع الأدبي لمسلمي اسبانيا باللغة العربية ينظر: مجهول- رثاء احتلال المسيحيين- مخطوط رقم: 1627- المكتبة الوطنية . الحامة– الجزائر. أما ما دون باللغة الألخميادية فينظر: جنثالث بالنثيا آنجل- تاريخ الفكر الأندلسي- تر: حسين مؤنس- طبعة مصر- 1955م- ص521.---55- من بين الدراسات الأكاديمية التي اعتنت بهذا النوع من المواضيع ينظر على سبيل المثال: دي فوانتا سالفارو قلماس- ما المشاكل حول نقحرة النصوص الألخميادية الموريسكية، الأدب الألخميادو- الموريسكي، تزاوج لغوي وعالم الاستطرادات اللامتناهي- بحث قدم ضمن أعمال المؤتمر العالمي الثالث عشر للدراسات الموريسكية- الأندلسية حول : الأبعاد العقائدية والفكرية في الأدب الألخميادو وسياسة محاكم التفتيش تجاه الموريسكيين- ط:1- مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات- تونس- 2009م.---56- سمير نعيم أحمد- النظرية في علم الاجتماع- ط:3- دار المعارف،- القاهرة - 1982م- ص: 112.---57- المرجع نفسه- ص: 113.---58- للاطلاع على تفاصيل أكثر حول الموضوع ينظر على سبيل المثال: محمد عبده حتاملة- موريسكيو بلنسية تحت وطأة السلطة الدينية السياسية في عهد الملك فيليب- بحث قدم ضمن أعمال : المؤتمر العالمي الثاني للدراسات الموركسية، تونس، 1973م.

الملحق رقم:1 يمثل نمودج من المخطوطات الألخميادية
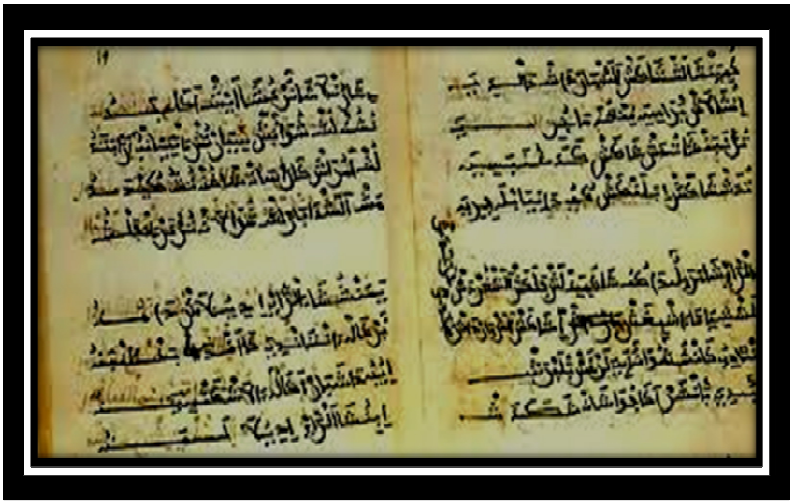
من خلال هذه الصورة لنموذج من المخطوطات الألخميادية يمكننا الخروج بمجموعة من الملاحظات لعل من أهمها:

-كتب هذا النص الذي عالج قضية دينية بخط مغربي.

_ عدم استعمال الألوان ما عدا اللون الأسود.

_غياب الزخرفة والأشكال الهندسية التي تضفي شكلا جماليا لأي مخطوط مهما كان موضوعه.

_عدم الالتزام باتجاه واحد في الخط.